المحـاضـرة الثـانيـــة

وكما سبق ذكره أن البلاغة لغة تعني الوصول والانتهاء وأما المعنى الاصطلاحي فيمكن القول أن البلاغة يكمن معناها في مفهومين : مفهوم اصطلاحي (فني) ، ومرة أخرى بالمعنى الاصطلاحي العلمي ، وجاء ذلك نتيجة جهود علماء كثيرين في مجال البلاغة ، ويمكن القول عن البلاغة كما قال ابن المقفع حينما سئل ما البلاغة ؟ فقال : ((البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة ومنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الإشارة وفي الإجماع ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون نثراً ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً وخطباً ورسائل وغير ذلك)).

ومن معاني البلاغة الاصطلاحية ما قاله الخليل بن أحمد الفراهيدي (البلاغة كلمة تكشف عن البقية) وقال أيضا خلف الأحمر : (البلاغة لحمة دالة) ، وسئل بعض الأعراب من أبلغ الناس ؟ فقال : (أسهلم لفظاً وأحسنهم بديهة) ، وقال آخر عن البلاغة إنها إجاعة اللفظ وإشباع المعنى ، وقال ابن رشيق القيرواني عن البلاغة : (إهداء المعنى الى القلب بأحسن صورة من اللفظ) ، ويستمر تصور البلاغة في تعريفها المشهور لدى الخطيب القزويني إنها : (مطابقة لكلام لمقتضى الحال مع فصاحته) والمراد بالمطابقة لمقتضى الحال هو الملاءمة بين الأسلوب والظرف الذي يقول فيه المتكلم كلامه ، ومن الجدير ذكره أن البلاغة فناً هي الملكة التي يقتدر بها على مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، وأما البلاغة (علماً) فهي العلم الذي يدرس كيفية هذه المطابقة والكشف عن وسائل وآليات ذلك ، وهذا لم يأتِ من فراغ إذ نجد كثيراً من الأمثلة التي تعبر عن وجود ملكة البلاغة لدى كثير من الشعراء وغير الشعراء.

نجد مثلاً النابغة الذبياني الذي كان يجلس في خيمة فيحتكم عنده الشعراء ، ومن ذلك حادثة أبطالها الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء التي قالت :-

وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداة به

كأنه علمٌ في رأسه نارُ

فقال النابغة والله لولا أن أبا بصير (الأعشى) أنشدني آنفاً لقلت إنك أشعر الجن والإنس ، فقام حسان وقال والله لأنا أشعر منكِ ومن أبيكِ . فقال النابغة يا بن أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فإنك كاليل الذي هو مدركي

وإنْ خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ

ومن ذلك أيضا ما روي أن طرفة بن العبد حينما سمع قول المسيب بن علس يقول :

وقد أتناسى الهمّ عند إدّكاره

بناجٍ عليه الصيعرية مكدمُ

فقال طرفة أستنوق الجمل (أي أصبح الجمل ناقة).

ويظهر تطور البلاغة واضحاً جلياً من خلال أقسامها الثلاثة وهي :-

١- علم المعاني : هو علمٌ يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق الحال .

٢- علم البيان هو علمً يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرائق مختلفة ووضوح الدلالة عليه .

٣- علم البديع هو علمٌ يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته الحال ووضوح الدلالة.